الفصل الرابع
الكتب السماوية

تمهيد: إن من أركان الإيمان الاعتقاد بالكتب السماوية وإنها من عند الله سبحانه وتعالى، إلا أن هناك من البشر من أنكر الكتب السماوية جملة وهم الملاحدة، وهناك من حرف الكتب السماوية وأضاف إليها ما لم ينزل الله به من سلطان، وهم اليهود والنصارى وقعوا فى الغلو وفى الإفراط وابتعدوا عن الصراط المستقيم، وقد اتضح ذلك عندما تكلمنا عن منهج الوسطية فى توحيد الله وأسمائه وصفاته، حيث رأينا ما وقع فيه اليهود من التحريف، وما وقعت فيه النصارى كذلك، وقد وضح الله سبحانه وتعالى ما وقع فيه أهل الكتاب من التحريف والتبديل.

المبحث الأول
تحريف اليهود وتزويرهم

أما اليهود فقد تفننوا فى التزوير، وأضافوا فى كتابهم المقدس وحذفوا منه واتبعوا كافة الأساليب الشيطانية وقد بين الله فى كتابه العزيز أنواعاً من تحريف اليهود للتوراة:

أولاً: إلباس الحق بالباطل:

كان بنو إسرائيل يخلطون الحق بالباطل، بحيث لا يتميز الحق من الباطل، وقد سجل القرآن الكريم هذا الجرم عليهم، قال سبحانه: ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون (٤٠) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون (٤١) ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾. [البقرة: ٤٠ - ٤٢] وقال سبحانه: ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾. [آل عمران: ٧١].

ومن أبلغ الصور وأقبحها فى إلباس الحق ادعاء الكهنة والأحبار - فى التوراة التى بأيديهم - أن هارون عليه السلام هو الذى جمع الذهب من بنى إسرائيل واشترك معهم فى صناعة العجل الذهبى، ووافقهم على عبادته من دون الله، وفى الوقت نفسه يبرئون السامرى، فهارون الذى تحمل المشاق عليه الصلاة والسلام فى سبيل إقناع فرعون بالتوحيد جعلوه داعية الشرك والكفر، ولكن القرآن الكريم كان لهذه الدعوى بالمرصاد، فكذبهم، وبين حقيقة الأمر (١).

قال تعالى: ﴿ فكذلك ألقى السامرى (٨٧) فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى (٩٠) قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ [طه: ٨٧ - ٩١].

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم: ١/ ٢٥٦.

فهذا هو الصدق حقاً إنما عمل لهم العجل السامرى، أما هارون فنهاهم ولكنهم عصوه وكادوا يقتلونه.

النوع الثانى من التحريف: كتمان الحق:

لا شك أن الله حق، ولا يقول إلا حقاً، والتوراة التى أنزلت على موسى كلها حق، لأنها كلام الله تعالى، ولكن بنى إسرائيل كانوا يكتمون الحق قاصدين بذلك إخضاع كتاب الله لأهوائهم وشهواتهم، فالآيات التى يرون فيها منفعة لهم عاجلة أو تكون فى جانب حجتهم يقرونها، وأما الآيات التى يرون أن فيها دليلاً عليهم فيكتمونها، ولهذا سجل الله عليهم هذا الكتم فى كتابه فقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

ومن أعظم ماكتموه أهل الكتاب هو ما وجدوه فى كتبهم من صفات محمد ﷺ واختيار الله له رسولاً إلى الناس أجمعين، وقد كانوا يعرفونه فى كتبهم كما يعرفون أبناءهم ولكنهم إذا سئلوا عن ذلك كتموا (١).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: ١٤٦]، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [الأنعام: ٢٠].

وقد بين عز وجل صفاته ﷺ الكاملة فى التوراة والإنجيل فقال عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧] ومع هذه الأوصاف العظيمة التى كانوا يعرفونها مكتوبة عندهم أنكروا نبوته ﷺ وكتموا ما علموه.

النوع الثالث: إخفاء الحق:

وقد كان أهل الكتاب يخفون من أحكام التوراة الشىء الكثير، قال تعالى:

---

(٢) انظر: تفسير البغوى: ١/٦٧، ١٦٢، ٣١٥.

﴿ يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] ومن الأحكام التى اخفاها اليهود : حكم رجم الزانى والمحصن ، فقد جاؤوا إلى النبى ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا ، فقال لهم : « **كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟** » قالوا : نحممهما ونضربهما . فقال : « **لا تجدون فى التوراة الرجم ؟** » فقالوا : لا نجد فيها شيئاً . فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدارسها الذى يدرسها منهم كفه على آية الرجم ، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ، ولا يقرأ آيه الرجم ، فنزع يده عن آية الرجم ، فقال : ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هى آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما .. الحديث » . (١)

ولهذا قال سبحانه : ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا..... ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [المائدة : ٤١ – ٤٣] .

وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ . [آل عمران : ٢٣] .

فأنكر سبحانه على أهل الكتاب المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم التوراة والإنجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا فى غاية ما يكون من ذمهم (٢).

النوع الرابع : لىُّ اللسان :

من أنواع تحريف اليهود للتوراة : لى اللسان ، فهم يلوون ألسنتهم ويعطفونها بالتحريف ، ليلبسوا على السامع اللفظ المنزل بغيره ، ويفتلون ألسنتهم حين يقرؤون كلام الله تعالى لإمالته عما أنزله الله عليهم إلى اللفظ الذى يريدونه قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ

---

(١) البخارى مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران باب : قل فأتو بالتوراة : ٨ / ٢٢٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ١ / ٣٥٦ .

يعلمون ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

ومن التحريف بلى اللسان ما كان يفعله اليهود مع رسول الله ﷺ بقولهم : ﴿ واسمع غير مُسْمَع ﴾ [النساء : ٤٦] ويقصدون معنى اسمع : لا سمعت ، أى يدعون على النبى ﷺ وقد كان المسلمون يقولون للنبى ﷺ راعنا ، من المراعاة والمعنى فأرع سمعك لكل منا ، فلما سمع اليهود هذه اللفظة اغتنموا الفرصة فى التحريف ؛ لأن معناها عندهم السب والطعن بمعنى ياأحمق (١) ولكن الله عز وجل كشف سترهم فقال : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٤٦] .

ونهى الله المؤمنين عن صفات اليهود فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذابٌ أليمٌ ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

النوع الخامس : تحريف الكلام عن مواضعه :

أثبت الله عز وجل على أهل الكتاب هذا النوع من التحريف فقال عز وجل : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ... ﴾ [النساء : ٤٦] ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ... ﴾ [المائدة : ١٣] .

وقال عز وجل : ﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ . [المائدة : ٤١]وهذا النوع من التحريف له أربع صور كالتالى :

١ - تحريف التبديل : وهو وضع كلمة مكان كلمة ، أو جملة مكان جملة .

٢ - تحريف بالزيادة : ويكون بزيادة كلمة أو جملة .

٣ - تحريف بالنقص : وهو إسقاط كلمة أو جملة من الكلام المنزل على

---

(١) انظر : تفسير البغوى : ١ / ١٠٢ ، ٤٣٨ .

موسى عليه السلام .

٤ - تحريف المعنى : تبقى الكلمة أو الجملة كما هي، ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين ، ثم يختارون المعنى الذى يتفق مع أهوائهم وأغراضهم(١) .

وهذه الصورة لها أمثلة كثيرة من التوراة لا يتسع المقام لذكرها(٢) .

ومن رحمة الله تعالى وكرمه أنه عندما ذكر ما فعلوه من العظائم دعاهم إلى التوبة ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ﴾ [النساء : ٤٧] فلو آمنوا بالله وملائكته وجميع كتبه ورسله لكفر عنهم سيئاتهم وأدخلهم الجنة(٣) .

قال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥) ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [المائدة : ٦٥ ، ٦٦] ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

---

(١) التوراة دراسة وتحليل للدكتور ، محمد شلبى شتيوى : ٨٣ .

(٢) انظر : إغاثة اللهفان : ٢ / ٣٤٢-٣٤٤ .

(٣) انظر : تفسير السعدى : ٣١٩ .

المبحث الثانى
تحريف النصارى للإنجيل

وأما النصارى فقد حرفوا الإنجيل، وبذلك ابتعدوا عن الصراط المستقيم وإليك ما يثبت التحريف فى الأناجيل :

أولاً : النتيجة التى لا مفر من التسليم بها :ان الأناجيل القانونية الموجودة الآن ما هى إلا كتب مؤلفة ، وهى تبعا لذلك معرضة للخطأ والصواب ، ولا يمكن الادعاء ولو لحظة أنها كتبت بإلهام ؛ فلقد كتبها أناس مجهولون ، فى أماكن غير معلومة ، وفى تواريخ غير متأكدة ، والشيء المؤكد : أن هذه الأناجيل مختلفة غير متآلفة ، بل إنها متناقضة مع نفسها ، ومع حقائق العالم الخارجى ؛ لأنها فشلت فى تنبؤات كثيرة ، كالقول بنهاية العالم ، وهذا القول قد يضايق النصرانى العادى ، بل قد يصدمه ، ولكن بالنسبة للعالم النصرانى فقد أصبح ذلك عنده حقيقة مسلم بها [١] لما أجراه من أبحاث ، ولما علم من واقع الإنجيل .

ثانيا : الشواهد على التحريف من الأناجيل :

أ – جاء فى إنجيل مرقس : أن المسيح قال لتلاميذه : (اذهبوا إلى العالم أجمع واكروزا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدان ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ، ويتكلمون بالسنة جديدة ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون) [٢].

ففى هذا النص حجة على النصارى من وجهين :

الوجه الأول : قولهم عن عيسى إنه أمرهم أن يبشروا بالإنجيل فدل ذلك على أن إنجيلاً أتاهم به وليس هو عندهم الآن ، وإنما عندهم أربعة أناجيل متغايرة

---

[١] - المناظرة بين الإسلام والنصرانية : ٣٥ – ٥٠ .

[٢] الفصل لابن حزم ٢ / ١٣٩ وعزاه المحقق إلى إنجيل مرقس ، والإصحاح : ١٦ / ١٥-١٨ .

وليس منها إنجيل ألف إلا بعد رفع عيسى عليه السلام باعوام كثيرة ، فصح أن ذلك الإنجيل الذى أخبر المسيح أنه أتاهم به وأمرهم بالتبشير به ذهب عنهم ؛ لأنهم لا يعرفون له أصلاً ، وهذا ما لا يمكن سواه .

الوجه الثانى : قولهم : إنه وعد كل من آمن بدعوة التلاميذ أنهم يتكلمون بلغات لا يعرفونها ، وينفون الجن عن المجانين ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون ويحملون الحيات ،وإن شربوا شربه قتالة لا تضرهم ، وهذا وعد ظاهر الكذب ؛ فإن ما من النصارى أحد يتكلم بلغة لم يتعلمها ولا منهم أحد ينفى جنياً ، ولا من يحمل حية فلا تضره ، ولا من يضع يده على مريض فيشفى ، ولا منهم أحد يسقى السم فلا يضره ، وهم معترفون بأن يوحنا – صاحب الإنجيل – قتل بالسم وحاشا لله أن يأتى نبى بمواعيد كاذبة ، وهذا دليل على تحريف النصارى وتناقضهم وتكذيبهم أنفسهم)[١] .

ب – ومن ذلك ما جاء فى إنجيل متى أن عيسى عليه السلام دعا على شجرة تين خضراء فيبست التينة فى الحال ، فتعجب التلاميذ من ذلك ، فقال لهم عيسى : (الحق أقول لكم : إن كان لكم إيمان ، ولا تشكوا أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون) .[٢] .

وهذا فيه حجة على النصارى ، وذلك أن الأمر لا يخلو من أن يكون النصارى مؤمنين بالمسيح عليه السلام ، أو غير مؤمنين ، فقد كذبوا المسيح فيما نسبوه إليه فى هذه المقالة – وحاشا له من الكذب– فليس منهم أحد قدر على أن يأمر حبة من خردل بالانتقال فتنتقل ، فكيف على قلع جبل وإلقائه فى البحر ؟ وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار ، ولا يجوز أن يصدق كافر[٣].

وبهذا يتبين أن الأناجيل وقع فيها تحريف عظيم ، ولا يعتمد عليها ، ولا مخرج من هذا التيه إلا بالدخول فى الإسلام ، وقد ذكر سبحانه وتعالى فى كتابه

---

(١) انظر : الفصل لابن حزم : ٢ / ١٣٩ .

(٢) انظر : الفصل لابن حزم : ٢ / ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق : ٢ / ٩٨ .

ما اقترفه النصارى وما أدخلوه على حقيقة النبوة ، من تأليه جماعة منهم لعيسى ابن مريم ، وقول بعضهم بالتثليث ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ .. ﴾ [المائدة : ٧٢]،وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣] فجاء القرآن الكريم ، وبين هذا التحريف وبين العقيدة السليمة عن عيسى وأمه ، فقال تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة : ٧٥] والحق الذى لا يمارى فيه منصف أنه لا يوجد اليوم على ظهر الأرض كتاب تصلح نسبته إلى الخالق تبارك وتعالى سوى القرآن الكريم، ومن وسطية القرآن فى ركن الكتب السماوية بيانه ما وقع فيها من الانحراف والابتعاد عن الصراط المستقيم ، وأعطانا القول الفصل فى هذا المجال ولم يترك ما يفيدنا وينفعنا فيما يتعلق بهذا الشأن وغيره .

فبين سبحانه وتعالى أن التوراة أصلها من عند الله وحدث فيها التحريف بسبب أحبارهم ورهبانهم قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

وبين سبحانه وتعالى أن الإنجيل أصله من عند الله إلا أن علماءهم حرفوه قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:١٤، ١٥] .

وأخبر سبحانه وتعالى أن الزبور أنزلها على داود عليه السلام فقال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] وأخبرنا سبحانه عن الصحف التى أنزلها على إبراهيم وموسى

التي أخبر الله عنها بقوله : ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى (٣٦) وإبراهيم الذي وفى (٣٧) ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٨) وأن ليس للإنسان إلا ما سعى (٣٩) وأن سعيه سوف يرى (٤٠) ثم يجزاه الجزاء الأوفى (٤١) وأن إلى ربك المنتهى ﴾ (النجم : ٣٦ – ٤٢) .

قال تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى (١٤) وذكر اسم ربه فصلى (١٥) بل تؤثرون الحياة الدنيا (١٦) والآخرة خير وأبقى (١٧) إن هذا لفي الصحف الأولى (١٨) صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى : ١٤ – ١٩] .

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل ، فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها ، وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله ، رسالة بلغة قومه ، فقال : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

فمن حكمة الله أنه بين لنا ما يفيدنا في دنيانا وآخرتنا ، فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب التي لم تُسمَّ إجمالاً ، ولا يجوز لنا أن ننسب كتاباً إلى الله تعالى سوى ما نسبه إلى نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن الكريم .

المبحث الثالث
وسطية القرآن بين الكتب السماوية

ومن وسطية القرآن فى باب الإيمان بالكتب السماوية: بيانه أن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى ،وتوحيد الله سبحانه فى: ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته ، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنعهم .

ومن وسطية القرآن ما ميزه الله وخصه به عن سائر الكتب المقدسة التى سبقت نزوله من الكتب المنزلة من أهمها :

أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية ، وجاء مؤيداً ومصدقاً لما جاء فى الكتب السابقة من توحيد الله ، وعبادته ، ووجوب طاعته ، وجمع كل ما كان متفرقاً فى تلك الكتب من الحسنات والفضائل ، وجاء مهيمناً ورقيباً عليها ، يقر ما فيها من حق ، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير (١) قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ [المائدة : ٤٨] .

ومن وسطية القرآن أنه جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم فى الدارين ، نسخ بها جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة، وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان .

إن القرآن الكريم هو الكتاب الربانى الوحيد الذى تعهد الله بحفظه فقال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩] وقال تعالى : ﴿ وإنه لكتاب عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] .

والقرآن الكريم أنزله على رسوله محمد ﷺ للناس كافة ، وليس خاصا بقوم

---

(١) انظر : الإيمان لمحمد ياسين : ١٠٠ .

معينين ، كما كانت تنزل الكتب السابقة فكان حفظه من التحريف ، وصيانته من عبث الناس ؛ ليبقى ما فيه حجة الله على الناس ، قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

بعكس الكتب الأخرى ، فقد وجه الكلام فى كل واحد منها إلى أمة خاصة دون سائر الأمم ، وهي وإن اتفقت فى أصل الدين إلا أن ما نزل فيها من الشرائع والأحكام كان خاصاً بأزمنة معينة وأقوام معينين قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة : ٤٨] .

لذلك لم يتعهد الله سبحانه بحفظ أى منها على مدى الدهور والأيام والأزمان كما هو الحال بالنسبة للقرآن ، وقد تكلمت عن أوجه الخيرية للقرآن الكريم فى باب ملامح الوسطية .

وبهذا أرجو من الله العلى العظيم أن أكون قد وفقت فى بيان وسطية القرآن بالنسبة للكتب السماوية .